

الخوف من الحرية فوبيا جديدة تجتاح العالم

أكثر ما تخشاه الإنسانية الآن رفع قيود الحجر الصحي



تفاقم الاعتداءات على الأفراد



الجائحة تعيد رسم حدود الخوف

مستقطعا لتفادي انتكاسة أخلاقية في تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية. إن أكثر ما يخشاه العالم الآن رفع قيود الحجر الصحي المفروضة على الناس، واعتبارات اجتماعية ونفسية تجاه صحة الأطفال وغيرهم من المرضى، لكن ثمة أمر شديد الأهمية يسمح بتلك القيود بالزوال التدريجي والمنهجي، إنها أرباح الشركات الكبرى واقتصاد الرأسمالية المستحوز على أبسط منتجاتنا اليومية، واللحاق المنظر ليس بعزل عن سوق الاحتكار والمضاربة لتسجيل المزيد من الأرباح. مهما سعت الطبيعة لتقليل طغياننا والإحاطة بمساوئنا ودفعنا لتخلص من أنانيتنا وشربنا، فإن الكثيرين ممن تعودوا على حروب الوكالة وتهجير شعوبهم قبل الجائحة" الموجه لقطاع الاستغلال والناس، وانشغالهم بالتمسك بالحياة لفرض نظام حكم جديد يفرض التعددية والحرية، ولعل ما فرضته الجائحة وهي تعيد رسم حدود الخوف تجاهها تلك الإرهاسات بدياية مرحلة جديدة من تاريخ العولمة والإنسان، فما بعد كورونا لن تحكى فيه أهات الموتى ولن تروى فيه عاهات المرضى، بقدر ما تعاد فيه "صيانة نظام دولي" يتباطأ الديمقراطية وحقوق الإنسان وتحرير الاقتصاد بأكثر وحشية وخبثا، لتعويض ما نرته موجة الجائحة من خسائر اقتصادية ومالية فادحة، ومهما بدا الأمر كما لو أن قوة تستغل ضعفنا وهواننا، فإنه من الحكمة أن ينقاد "العالم الحر" نحو خلاصه بكثير من الإنسانية.

أسعار النفط الممولة موازنتها العامة، معززة إجراءاتها بقرارات شعبية لتوزيع طرود الإغاثة والمساعدات الإنسانية الهشة.

«الخوف من الحرية» تحول إلى طريق اتخذته الإنسانية لتبصر مستقبلها المشرق بحياة أكثر عدالة وأمانا للبشرية جمعاء

وبدل الاستثمار في حالة الخوف التي يعيشها العالم بسبب الوباء لتقييم الأداء الاقتصادي والسياسي "ما قبل الجائحة" الموجه لقطاع الاستغلال والناس، وانشغالهم بالتمسك بالحياة لفرض نظام حكم جديد يفرض التعددية والحرية، ولعل ما فرضته الجائحة وهي تعيد رسم حدود الخوف تجاهها تلك الإرهاسات بدياية مرحلة جديدة من تاريخ العولمة والإنسان، فما بعد كورونا لن تحكى فيه أهات الموتى ولن تروى فيه عاهات المرضى، بقدر ما تعاد فيه "صيانة نظام دولي" يتباطأ الديمقراطية وحقوق الإنسان وتحرير الاقتصاد بأكثر وحشية وخبثا، لتعويض ما نرته موجة الجائحة من خسائر اقتصادية ومالية فادحة، ومهما بدا الأمر كما لو أن قوة تستغل ضعفنا وهواننا، فإنه من الحكمة أن ينقاد "العالم الحر" نحو خلاصه بكثير من الإنسانية.

وبدل الاستثمار في حالة الخوف التي يعيشها العالم بسبب الوباء لتقييم الأداء الاقتصادي والسياسي "ما قبل الجائحة" الموجه لقطاع الاستغلال والناس، وانشغالهم بالتمسك بالحياة لفرض نظام حكم جديد يفرض التعددية والحرية، ولعل ما فرضته الجائحة وهي تعيد رسم حدود الخوف تجاهها تلك الإرهاسات بدياية مرحلة جديدة من تاريخ العولمة والإنسان، فما بعد كورونا لن تحكى فيه أهات الموتى ولن تروى فيه عاهات المرضى، بقدر ما تعاد فيه "صيانة نظام دولي" يتباطأ الديمقراطية وحقوق الإنسان وتحرير الاقتصاد بأكثر وحشية وخبثا، لتعويض ما نرته موجة الجائحة من خسائر اقتصادية ومالية فادحة، ومهما بدا الأمر كما لو أن قوة تستغل ضعفنا وهواننا، فإنه من الحكمة أن ينقاد "العالم الحر" نحو خلاصه بكثير من الإنسانية.

الإنسان عن قول "لا"، وأن يصبح قبول الكثيرين "لناقة القطيع" بمثابة خطيئة أخلاقية مكلفة للحياة الإنسانية، فما الموت إلا ظل الحياة وهو يأن برجيلها كل ثانية مع إعلان أعداد ضحايا الفايروس الموهلة، وفي لحظة ما توقف مصير البشر على اختلاف أعمارهم وأجناسهم بقرار سيادي يكفل أمنهم الصحي، وهم متفادون له كما لو أن شفغهم بالحرية في كسر جدار الخوف من الاستبداد والموت، تلاشى أمام رغبتهم الجامحة في البقاء والتمسك بالمزيد من الأحلام والأمال نحو غد أفضل وأرقى.

لقد فرضت الجائحة على العالم حجرا تاما توقفت بموجبه معظم الأنشطة البشرية، فمن أجل أن نحد من انتشار الوباء وجب علينا أن نلتزم بقدر لا بأس به من التضامن الإنساني والمسؤولية الأخلاقية تجاه ذاتنا ومجتمعنا، وللعمل على تحصيل نتائج إيجابية لمؤشر تراجع أرقام العدوى والإصابات وجب التكاتف والتضامن لتخليص ذاتنا من الأناثية واللامبالاة المهديتين لأمننا الصحي، والبدء في تقليص حريتنا ورسم حدود طارئة للفرد داخل بيته وعائلته ومؤسسته ودولته.

عداد الموت كان يحصد الآلاف يوميا بسبب استهتار بعض الحكومات ونهاونها إزاء "التعامل الحذر" مع فايروس كوفيد - 19، الذي على ما يبدو ليس هو الأخير المغير على استقرار اقتصادنا ومجتمعنا، وقد نتج عن العطلة الإجبارية للعالم بسبب جائحة كورونا تزايد الميونية وتغير السياحة وخسائر مالية لأولئك الذين يزاوون انشطتهم التجارية والاقتصادية خارج دائرة دافعي الضرائب، إلى جانب حرب دبلوماسية أميركية - صينية حول المسؤولية الأخلاقية والقانونية لانتشار الوباء، تجلت أماراتها بتهديد الرئيس الأميركي دونالد ترامب بفرض المزيد من الرسوم الجمركية على الصين لمواجهة تداعيات الجائحة.

الأخلاق وأزمة الوباء

في وقت بدت اقتصادات أكبر دول العالم تعاني من أزمة تحقيق اكتفاء ذاتي للمنتجات الصحية وتراجع مستويات الاستهلاك الفردي للبضائع والسلع التجارية، كانت دول أخرى تعاني الأمرين بسبب نقص الكفاءة الاقتصادية والسلوكيات الاجتماعية اللاتشاركية" لمواجهة تراجع الصادرات وتذبذب

وحسابات لا حاجة لأصحابها بها، عواصم لطالما احتفت بالملايين من السياح والزائرين نزعت عنها الجائحة ثوب التمدن والتحضّر وأسلمتها لطبيعتها المادية متحفة ما تبقى من إنسانيتها، فما نفتحها بورصاتها المخاضية ولا أسواقها الضخمة أمام ما تحتاجه الإنسانية من رعاية طبية لمواجهة وباء كورونا، وما بقي لها سوى لباس الخوف يكتنف القرى والمدن المسومة بالقباب الحدائة والعولة ليسلب منها حريتها الموحشة.

ربما منح "الخوف من الحرية" طريق اتخذته الإنسانية لتبصر مستقبلها المشرق بحياة أكثر عدالة وأمانا للبشرية جمعاء، أولئك الذين يرقصون مجتمعاتهم بسياساتهم الاستيطانية الحجج لفرض المزيد من القيود إزاء نشاط الإنسان نحو التحرر والعمل على تحصيل نتائج إيجابية كانت العدالة في بيئة صحية إلا أنتجت لنا الحرية مجتمعا متوازنا واقتصادا معتدلا وهويات متداخلة، وهذا ما كشفته جائحة كورونا وهي تعيد رسم الخطوط الأولى للدفاع البشري عن حق تملكه وتنوعه.

جائحة كورونا لم تمنح الحياة لطائفة دون أخرى ولم تجتنب خيرية لاجتماع دون مجتمع، كما أنها أثبتت قدرتها على فرض رسوم مكلفة لهوس البشر في تحرير اقتصاداتهم وعولمة أسواقهم بطريقة احتكارية، لتكتشف حجم الخدع المالية والتجارية البرمجة بموجب اتفاقيات الاستحواذ والاندماج، كما أنّ المجتمعات المنهكة في برامج التسليح والتفريغ المادي ساقطتها الأزمة نحو إعادة التعرف على الذات والتفكير من مجتمعاتها الداخلية بغلق الفضاءات المناقشة التي حالت بينها

وبين الحياة الأسرية الحميمة. أصبحت القيود المفروضة على حركة البشر وإلزامهم بالحجر الصحي الكلي تجربة بشرية فريدة من نوعها لفهم معنى أن يكف

كورونا المستجد الذي ينتشر في صمت، فالقليل من الوقت كان كافيا لأن يدخل العالم بأكمله مرحلة "استراحة شاملة" بسبب تصاعد عدد الوفيات الناجمة عن جائحة كورونا.

الخوف اجتاحت العالم كما لو أنّ حربا تتساقط فيها الجثث من غير رمي ولا قصف ولا تسمم، عدو غير مرئي يفتك بالآلاف من البشر، ويغلق الشركات الكبرى، ويعطل الملاحة ويلجم السياسة في بيوتهم، بل إن الموت الذي أذاعه فايروس كوفيد - 19 كان حملا ثقيلًا على اقتصادات لطالما ازدهرت أسواقها المالية ضحايا صفقات التسليح، ومجتمعات استهلاكية أن لها أن تترك قيمة ما يُخز وما لا يُنتفع به.

في لحظة استثنائية بدت الحياة أشبه بمدائن خالية وشوارع موحشة

طلب الحرية بوطننا العربي كان وجهًا بشعا لالة القمع والقتل الرفضة للانتقال الديمقراطي الأمن، حيث تم تشخيص نضال المهجرين والمهمشين بمنطقنا العربية كهمجية وبربرية مقيتة لا تنتج سوى الدمار، وكان العرب المتعقب للانتهاكات والتجاوزات في صحراء مجلس الأمن يتماهى مع هذا الإفراط في الخوف معللا إياه بقرارات دولية مخزية تقصف الضحية لا الجار. كانت عملية "تحرير الاقتصاد"

تشويهها تشوهات مرضية متفرقة، تحمّلت تبعاتها طويلة الأمد مجتمعات بثقافتها وهويتها واقتصاداتها الموازية، فإن تحرر حركة رؤوس الأموال من دورة الحياة المالية للدولة، وتصبح الشركات متعددة الجنسيات المحرك الفعلي للسياسة الاقتصادية والتعددية بواسطة عرابين كصندوق النقد الدولي، للسلط على الثروة الوطنية والحد من نمو الاقتصادات الصاعدة، لم يكن ذروة "الهلع من تحريره" حتى بعدما اجتاحت السوق العالمية الأزمة الاقتصادية 2008، بل كان الاهتمام بكيفية مواجهة تداعيات الأزمة وتقديم خطط إنقاذ محفزة، بدل العمل على نقد السياسة المالية للمؤسسات الدولية ونظام الفعالة البنكية المتجاوز حدود الطبيعة البشرية في الحياة والتملك، لتنفق المئات من المليارات لإنعاش البنوك المنهارة والتأمينات المغلقة، في وقت كانت سلالة سارس المتطورة تدق أسافين المجتمعات المقهورة منذرة بخطر أعظم يقضى بنظام الرعاية والأمن الصحي للعالم.

حكمة الخوف

عندما طرحت صحيفة ليزيكو (Les Echos) الفرنسية سؤالاً عن حال الاقتصاد سنة 2020، قدمت اقتراحات عدة منها صعود أسواق الأوراق المالية، أو ارتفاع الفوائد، أم أنه عام لغلاء سعر الذهب، أم سيكون عام استراحة، وكانت الإجابة عن تساؤلاتها تتوقف بمدى استجابة العالم لمعرفة حقيقة وباء

حذر الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس من الحجر الصحي الشامل معتبرا أن الحد من عدد كبير من الحريات الأساسية يجب أن يكون استثناء لا يسمح باستمراره بشكل قاطع، ولكن تحذيرات هابرماس نجدها واقعا في الكثير من البلدان الأخرى التي استغل فيها السياسيون الجائحة لتكسيم الأفواه وفرض قيود أكثر على الحريات العامة والفردية، تحت حجة مقاومة الوباء. الحد من الحريات لم يتوقف عند حدود السياسيين بل مارسه الأفراد كذلك، حيث شاهدنا في أكثر من مرة تهليل الناس للاعتداءات العنيفة على المخالفين للحجر الصحي، ظاهرة انتشرت مع تصاعد الخوف من الفايروس ليتحول إلى خوف من الحرية.

نور الدين قدور رافع

«ليبارتيفوبيا» مصطلح يقصد به معنى «الخوف من الحرية» أو «رهاب الحرية» حالة مرضية مرتبطة بسلوكيات الإنسان المتناقضة، وهي ضمن إطارها الأخلاقي علامة على اضطرابات داخلية تصيب النفس البشرية بالاحتقان والغضب والهلع، مما يراود التخلص منه أو تملكه أو الفرار منه أو إليه، وتصبح ملازمة للفعل البشري بمجرد انتفاؤها عن القيم الإنسانية المسكنة لها.

«ملازمة ليبارتيفوبيا» لها عوارض اجتماعية واقتصادية وسياسية يمكن أن نلتصم بداياتها في سلسلة يقع حمراء متطايرة بكل مكان، حيث الدماء المختلطة ربحها بالعصبية والعنصرية تجتاح عالما المغدق على شعوب الأرض بالمزيد من أسلحة الدمار والتهجير.

الهلع من التحرر

طلب الحرية بوطننا العربي كان وجهًا بشعا لالة القمع والقتل الرفضة للانتقال الديمقراطي الأمن، حيث تم تشخيص نضال المهجرين والمهمشين بمنطقنا العربية كهمجية وبربرية مقيتة لا تنتج سوى الدمار، وكان العرب المتعقب للانتهاكات والتجاوزات في صحراء مجلس الأمن يتماهى مع هذا الإفراط في الخوف معللا إياه بقرارات دولية مخزية تقصف الضحية لا الجار. كانت عملية "تحرير الاقتصاد"

تشويهها تشوهات مرضية متفرقة، تحمّلت تبعاتها طويلة الأمد مجتمعات بثقافتها وهويتها واقتصاداتها الموازية، فإن تحرر حركة رؤوس الأموال من دورة الحياة المالية للدولة، وتصبح الشركات متعددة الجنسيات المحرك الفعلي للسياسة الاقتصادية والتعددية بواسطة عرابين كصندوق النقد الدولي، للسلط على الثروة الوطنية والحد من نمو الاقتصادات الصاعدة، لم يكن ذروة "الهلع من تحريره" حتى بعدما اجتاحت السوق العالمية الأزمة الاقتصادية 2008، بل كان الاهتمام بكيفية مواجهة تداعيات الأزمة وتقديم خطط إنقاذ محفزة، بدل العمل على نقد السياسة المالية للمؤسسات الدولية ونظام الفعالة البنكية المتجاوز حدود الطبيعة البشرية في الحياة والتملك، لتنفق المئات من المليارات لإنعاش البنوك المنهارة والتأمينات المغلقة، في وقت كانت سلالة سارس المتطورة تدق أسافين المجتمعات المقهورة منذرة بخطر أعظم يقضى بنظام الرعاية والأمن الصحي للعالم.

حكمة الخوف

عندما طرحت صحيفة ليزيكو (Les Echos) الفرنسية سؤالاً عن حال الاقتصاد سنة 2020، قدمت اقتراحات عدة منها صعود أسواق الأوراق المالية، أو ارتفاع الفوائد، أم أنه عام لغلاء سعر الذهب، أم سيكون عام استراحة، وكانت الإجابة عن تساؤلاتها تتوقف بمدى استجابة العالم لمعرفة حقيقة وباء

